

# الأحداث التاريخية بحضرموت في منتصف القرن الخامس الهجري

## قراءة في السيف النقاد ٢/١

إعداد / أكرم مبارك عصبان

وقد ذكره بما كان عليه أئمة حضرموت من الرجوع إلى أئمة عمان ليظفروا منهم بالنصر في إشارة إلى توطيد هذه العلاقة فقال بعد ذكر أئمة عمان :

**وانت لنا من بعدهم صرت قيما حمولا ثقل الخطب يورى بك الزند**

وقد حوت رسالته التي حملها الوفد الوقوف معه والاستعداد لنصره برجال من حضرموت لا سيما في هذا الطرف العصيب الذي يمر به راشد بن سعيد من تهديد الأعداء له فقال :

**وما بين وادي حضرموت وبينكم إذا سركم إتياننا نحوكم بعد متى يأتنا منكم صريح تؤمكم بعسكر جرار يضيق به النسجد**

وإذا ما تأملنا إحدى قصائده الميمية في هذا السياق نرى اتفاقا في الفكرة وافتراقا في الألفاظ كقوله :

**أيا راشد إننا لعمرك نذهي بذكراكم في حضرموت تعاضما  
إذا ما عمسانى ألم بأرضنا أحطنا به نساله عنكم تراحما  
ونحن إذا ما الحرب جدت لديكم اتكم كراديس تهز الصوارما  
يذودون عن أديانهم كل معستد فويل لمن في الحرب يلقى الحضارما**

فنحن إذا إزاء مهمة واضحة المعالم للوفد الحضرمي الذي بعثه أبو إسحاق في أول علاقة نوعية بين الإمامين ويمكن تلخيص ما تضمنته الرسالة المبعوث بها في الأمور التالية :

— التباهي بإمام عمان وما حازه من حميد الصفات.

— البقاء على الود وهو الباعث الذي سمّا لنشر المدح له.

— التهنية بالنصر الذي حققه راشد على أعدائه ممن غزاه من جهة عقيل ونهد.

— توطيد العلاقة بينهما والاستعداد لإرسال قوة من الحضارم الذين تزخر بهم البلاد وهذا يدل على بسط نفوذه في حضرموت لقدرته على حماية حلفاء الدعوة خارجها.

**أبو إسحاق الحضرمي في رحاب نزوى :**

لقد مشى الإمام الحضرمي باسطة نفوذه على حضرموت ، ومتفاعلا مع الأحداث الخارجية في بعث الوفود إلى عمان في إمامة راشد بن سعيد الذي توفي سنة ٤٤٥ هـ ، ولكن الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد لرأيه واحدة شئشنة معروفة عند أهل حضرموت ، لم تعد خلقا وجيلة ، بل كانت عندهم أمرا ملنونا كما قال ابن خلدون ، وعليه فسرعان ما عادت حضرموت إلى طبيعتها هذه في الحصول على اللذة في مخالفة أبي إسحاق ، وبدأت اضطرابات في مخالفته لم تزل تأخذ في التنامي حتى اشتدت سنة ٤٤٥ هـ وهي السنة التي توفي فيها راشد بن سعيد وخلفه الخليل بن شاذان وبسبب طرود هذين الحثيثين رحل أبو إسحاق الحضرمي إلى نزوى وتحمل هذه الزيارة في طياتها ثلاثة أبعاد

— الأول : التنهية للخليل بن شاذان الذي آلت إليه مقاليد الحكم خلفا لراشد بن سعيد ، والثناء عليه بما هو أهل له ، وبقاء العلاقة بين الإمامين فقال في هذا السبب الباعث للزيارة :

**وذكر إمام شاع في الناس ذكره وطاب الثنا فيه الخليل بن شاذان  
فقطعت غيطانا وجاوزت أبحرا إليهم أجر المجد من آل تحطان**

— الثاني : بحث الأوضاع بحضرموت وما طرأ عليها من مخالفة بعض المتربصين ، وتثبيت الإمامة من خلال حاجته إلى النصر لكي يؤدب أولئك المخالفين وهم قلة من الأندال — كما نعتهم — يتحكمون في أمر العباد ، ونظرا لما في هذا الطلب من إغضاء قدره عبر القاضيين المقربين للخليل وهما هداد وحسن وما بذل وجهه ساعة إذ لا

يعد ديوان السيف النقاد الذي أحكم ألواحه ودرسه أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي هو السفينة التي نقلنا لتمخر بنا نحو القرن الخامس الهجري من تاريخ حضرموت خاصة منتصفه ، وتشق بنا عباب الأمواج المتلاطمة نحو ما يسميه بعض المؤرخين بأنه من المجاهل التي لا سبيل إلى معرفة خبرها البتة ، ولا يمكن الاطلاع على مجمل علومها أو أهم أعلامها إلا ما كان يذكر باقتضاب عن بعض رجال السند لطائفة بني علوي ، وما عدا ذلك فقد أوصد الباب دون معرفته ورمي بمفتاحه في بحر لحي ، ولما ظهر ديوان السيف النقاد كشاهد على بعض أحداث تلك الفترة سبب إرباكا شديدا لمن أصدر حكمه بالجهالة عليها ، وفتح بابا جديدا للاستئناف والنظر في الحكم والنظر في الأدلة ، ولقوة هذا النظر وحجبه طعن الحاكم بالجهالة في الشخصية ذاتها وأقام التشكيك حولها ، وكاد أن يجزم بأنها مفتعلة كحكايات ألف ليلة وليلة ، ولا نريد أن نطيل عند ذلك فقد فند هذا الطعن محقق السيف النقاد بما يغني عن ترديد كلامه ، ونحب أن نضيف هنا بأن الكتاب الآخر لأبي إسحاق الحضرمي وهو مختصر الخصال قد حمل إشارات زمانية ومكانية نقف عند ثلاث منها :

١- ذكر أن السبب الداعي لتأليفه خشية اشتها مذهب الشافعية والحنفية وانتشار أصحابها بحضرموت

٢- ذكر النجوم الشبامية التي اصطلح عليها أهل حضرموت ونشأت بشبام وقد وردت في معرفة دخول وقت الظهر وذكر منها ( الهقعة والزبان والنعائم )

٣- حدد المؤلف القلتين الواردين في حد الماء الكثير بأن مقدارها ستون قهاول بالحضرمي.

والآن دعونا نبدأ في الرحلة في استكشاف الأعماق وما حوته من أسرار تنبض بكل ألوان الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية بحدونا الشوق وتحري الصواب ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

**أبو إسحاق الحضرمي يمد العلاقة مع امام عمان :**

لقد ورث أبو إسحاق الحضرمي عبء الإمامة بحضرموت ، وجلس على كرسيها في وقت مبكر من حياته نظرا لأهليته التي تبوته هذا المقعد وفق الشروط التي حددها الفكر الإباضي ، وقد مضى على سيرة من قبله في الحكم وإدارة البلاد داخليا وخارجيا ، وذلك

من خلال الأخذ بزمام الإمامة في حضرموت في الداخل ، وأما سياسته الخارجية فأول ما يطالعنا منها المبادرة بمدح حبال المودة مع إمام عمان راشد بن سعيد اليمودي ، حين استغل انتصار هذا الإمام على خصومه من قبيلتي عقيل ونهد وكان قد نقل إليه خبر الانتصار إخوانه من ناحية الأسعاء ( الشحر ) ، فبادر أبو إسحاق في إرسال وفد بعثه إلى نزوى عاصمة الإمامة بعمان يحمل هذا الوفد مهمتين إحداهما : التنهية بالنصر الذي حققه راشد على خصومه ، والثانية : إشادة دعائم التعاون بين الإمامتين على خلفية العلاقة الفكرية والسياسية فقال مخاطبا الوفد كما في الدالية :



**ألا ابلاغوا عني السلام تحية  
وصحبته طرا ومن قد تضمنت  
جميعا وخصوا بالتحية ذا النهي  
إمام عمان راشدا أيها الوفد  
جوانحه ودا لهم وله عضد  
سليل سعيد صانه الصمد الفرد**